المشردون المسلمون في بورما(*)

إذا فتشت مختلفَ الكتب الإحصائية الغربية فلا تكاد تجد ذكراً لمليون مسلم يعيشون في (بورما) ويعانون الأمرّين منذ عشرات السنين ، وعلى وجه التحديد منذ استقلال بورما سنة ١٩٤٨م . وإذا فتشت في كــثير مــن صــحف البلدان الإسلاميّة على مختلف اتجاهاتها الغربية والشرقية ومختلف مشاربها السياسية والاقتصادية والأدبية والاجتماعيــة فلن تجد في ثلاثين عاماً مضت نبأً صغيراً يحدثك عن إخوان لك في الله لا يملكون لأنفسهم تجاه قوة السلطات دفعــاً لضرر أو أذى .. حتى ليكاد يشكّ القارئ المسلم فيما يذكره بعض الكتّاب المسلمين أو تورده بعض المجــلات ذات الاتجاه الإسلاميّ عن وجود (مليون) مسلم في ذلك البلد ، جنوب شرقي آسيا ، يعيشون كأقلية بين بضعة وثلاثــين مليوناً من البوذيين في الدرجة الأولى

ويسقط الستار فجأة ، وتنكشف المأساة لتنضم صورها إلى صور مآسٍ عديدة أخرى يعيشها المسلمون في هــذه الأيام ، رغم أن عددهم يناهز المليار في الأرض ، ورغم أن لهم بضعاً وأربعين دولة تمتد من أقصى المشرق إلى أقــصى المغرب .. تنكشف المأساة وتجد أجهزة الإعلام نفسها مضطرة إلى الحديث عمّن تجاهلتهم طوال الــسنين الماضــية ، لأنهم بدأوا يسطرون فصلاً جديداً من فصول المأساة ، بدماء ضحاياهم ، ودموع أطفالهم ونسائهم المشردين ..

وقد كتبت الصحف والمجلات المختلفة في الأسابيع الأخيرة الكثير مواكبةً به الألوف المؤلَّفة من الشيوخ والنــساء والأطفال المشردين من أراضيهم لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة ، وهذا نموذج واحد مما نُشر ، عساه يحرك بعض الضمائر ، ويثير بعض الحميّة ، ويدفع من يملكون إمكانات الغوث والنجدة في أيــديهم ، ويتحكمــون بإمكانــات المسلمين داخل ديارهم .. إلى موقف إنساني على الأقل ، يتجاوزون به جانباً بسيطاً من التقصير في حــقّ المــسلمين وأراضيهم

هذا نموذج ، نشرته مجلة (الشبيجل) الألمانية الغربية في عددها الصادر يوم ١٩٧٨/٠٦/١٢م ، وجاء فيه :

تسعى الحكومة البوذية في بورما للتخلص من المسلمين فيها بوسائل العنف ، مما أدى إلى فرار أكثر من مائتي ألف مسلم حتى الآن إلى أراضي بنغلادش الفقيرة أصلا

وتقول (بيجومبار) المسلمة القادمة من بورما البالغة ١٤ عاماً من عمرها : (لقد ضربني الجنود بكعــب البنــادق أولاً ، ثم انتهكوا جسدي كما شاؤوا وتركوني ملقاة على الأرض ، فهربت نصف عارية عبر الحدود)

ويقول الإمام (مولاي نور الإسلام) : لقد حولوا المسجد الذي أصلي فيه إلى مخزن سلاح وثكنة جنود ومعتقــل تعذيبٍ لشبابنا)

إنّ المراقبين من هيئة الصليب الأحمر الدولي ومن اللجنة العليا لشؤون اللاجئين التابعة لهيئة الأمم المتحدة يستمعون إلى الشكاوى عن القتل واستخدام العنف باستمرار في المخيمات القائمة على الحدود بين بورما وبنغلادش ، حيــث تجري منذ أسابيع (مأساة كبرى لا يكاد يشعر بها العالم إلاّ قليلاً في عصرنا الحاضر) على حد تعبير (صنداي تايمس)

ويتدفق المشردون منذ آذار/مارس الماضي في تيار لا ينقطع إطلاقاً من المسلمين في بورما التي تسكنها أغلبية بوذية، ويأملون أن يجدوا الحماية لدى إخوانهم في الدين في بنغلادش

وقد بلغ عدد هؤلاء المشردين في الأسبوع الماضي أكثر من ٢٠٠ ألف ، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال ، ولجؤوا إلى عشرة مخيمات كبيرة أقيمت على الحدود البالغ طولها ٢٥٠ كم ، والتي حولتها الأمطار إلى مــستنقعات كبيرة . ويواجه الأطباء مهمة مكافحة الأمراض المنتشرة ، كالزحار والملاريا والإسهال ، التي مات بــسببها إلى الآن ثلاثمائة شخص ، ويخشون من انتشار وباء الكوليرا بين المشردين بعد ظهور بعض الإصابات به بالفعل ..

وتستنجد بنغلادش التي تُعتبر من أفقر بلدان العالم ، والتي لا تجد الغذاء الكافي لثمانين مليــون نــسمة فيهــا .. تستنجد بمنظمات الغوث الدولية وبالبلدان الإسلاميّة الشقيقة ، وقد شكا رئيس الصليب الأحمر (الهلال الأحمــر) في بنغلادش (صدّيقي) قبل ثلاثة أسابيع قائلاً : (إننا لا نملك من المواد الغذائية والأدوية ما يكفي لأكثر من أربعة أسابيع ولا ندري بعدها ماذا نفعل إن لم تأت مساعدات خارجية)

وتدّعي حكومة رانجون في بورما رداً على احتجاجات حكومة بنغلادش المتوالية ، أن جميع المجموعات الــشعبية اللاجئة إنما تسللت قادمة من البنغال إلى منطقة (آركان) ، وأنها تعود الآن إلى حيث أتت .

ولكن الأسر البنغالية إنما هاجرت خلال فترة الاستعمار البريطاني وخلال العشرينات والثلاثينات الماضــية مــن منطقة (تشيتاكونج) وما حولها واستقرت في منطقة (آركان) ، وكانت هجرتها آنذاك داخل إطار (شــبه الجزيــرة الهندية) الواقعة تحت سيطرة الاستعمار البريطاني . وقد سبق طرد ٤٠٠ ألف مسلم من منطقة (آركان) عام ١٩٤٢م، وعاد كثير منهم إليها عام ١٩٤٨م عندما حصلت بورما على استقلالها ، وطردت حكومة بورما بين عامي ١٩٦٣م و١٩٦٤م عشرات الألوف من ذوي الأصل الهندي بحجة سيطرتهم على اقتصاد البلاد .

أما المسلمون ذوو الأصل البنغالي ، الذين سبق أن حصلوا على جنسية بورما ، فقد أصبحوا عبئاً على القــوميين المتطرفين في بورما لسببين على الأغلب ، أحدهما أنهم استطاعوا تحسين مستوى معيشتهم بفضل أراضــيهم الخــصبة الغنية بحقول الأرز ، والثاني بسبب شعارات استقلال (آركان) التي رفع لواءها (بطل الحرية) المدعو (آو فاو) .

ويبدو أن مخطط طرد المسلمين قد بدأ تنفيذه مع الأحداث التي بدأت في أوائل العام الجاري ، عندما أعلن عـــن مشروع (ملك دراكولا) الهادف إلى إعادة النظر في الجنسيات في مختلف أنحاء بورما . ويذكر المشردون بالإجماع أنه قد بدأت منذ ذلك الحين الحملات العسكرية من الجنود في بورما عليهم بعنف شديد المرة بعد المرة .

وتستخدم بورما لتنفيذ مخططها حيلة قذرة لتحويل المسلمين إلى أناس بلا وطن .

ويتحدث المشرّد (مادخانياما) في معسكر (كوتوبالونج) عن ذلك قائلاً : (جاءنا الموظفون وسحبوا منا أوراقنـــا أولاً ، وعندما طالبنا بها مجدداً تظاهروا بالجهل المطبق وطلبوا منا الدليل على أننا مواطنون نحمل جنسية بورما) .

ولم يعد يستطيع أحد إظهار الدليل ، وبدأ طرد هؤلاء جماعياً بحجة أنهم لاجئون غير شرعيين ، وفُـــصل عنـــهم الشباب وسيقوا إلى المعسكرات لأداء الأعمال الشاقة في بناء الطرق كما يعتقد (موالاي نور الإسلام) .

(*) بورما : تقع بورما بين الصين وتايلند شرقاً وبين الهند وبنغلادش غرباً ، وتبلغ مساحتها حوالي ٦٧٦ ألف كيلو متر مربـــع ، ويسكنها ٣٢ مليون نسمة معظمهم بوذيون ، ومنهم حوالي مليون مسلم في المنطقة الساحلية المجاورة لبنغلادش في الدرجة الأولى .